دراسة وتحليل لكتاب
(نهاية التاريخ والإنسان الأخير)
فرانسيس فوكوياما

في مقدمة للأستاذ مطاع صفدي يعتبر الكتاب من أهم ما صدر على الصعيد الإيديولوجي في الغرب الأمريكي، ويعتبره بيان أول وثيقة تعلنه الليبرالية لكونها وحيدة لا ينازعها أحد وقد رفعه إلى مستوى من التعليل الإطلاقي معتمداً على البراجماتية وفلسفة هيجل ويريد أن يرفع دولته إلى مصاف الكمال التاريخي في نظامه الاقتصادي السياسي ليجسد الاختيار الوحيد المتبقي أمام الإنسانية جمعاء. ولا يستطيع تبريره بالعقلانية المطلقة التي تتمتع بها أمريكا بوش بنهاية التاريخ أو كمال الإنسانية.

وقد تجاهل كل حقول الجدل المثار حول مسائل التاريخ فلسفياً (أو يجهل حقيقته) ويعتبر المحرك الأساسي للأحداث بعض الأطروحات مهملاً سواها (وهو عنصر السيكولوجيا وحدها) وأكد على صراع الميول والقيم في ذات الفرد الإنساني واختار ذات الميول الذي سماها أفلاطون (الثيموس) معتبراً ومختزلاً تاريخ الجدل الهيغلي حيث قدمه على أنه البديل الوحيد عن النفعية الأنغلوسكسونية والبراغماتية الأميريكية ليكون المسار النهائي للكينونة بنظام سياسي اقتصادي معين هو الرأسمالية الراهنة باعتبارها أعلى تجسيد للرغبة في الميول (الثميوسية) وظهرت من أطروحاته تناقضات صارخة وخاصة فيما يتعلق بموضوعة (الثيموس) ويصف نفسه إلى جانب المدرسة الطبيعانية المستجدة من هوبز وروسو.

وليثبت نهاية التاريخ ربط هذه النهاية بالنظام الليبرالي (الأميركي) فكل جهده ينصب أن التاريخ ينتهي عند أمريكا. علماً أن الباحث لم يعد واثقاً من شعار نهاية التاريخ عينه. ثم يعود ليطرح نزع الاعتراف بالذات والرغبة في المساواة وتأتي قسمة العالم مجدداً إلى من هو منه داخل التاريخ، ومن تخطاه وأكمل شخصيته ويصف بعد نهاية التاريخ من الشعوب من سيصير مصيرها عملياً إلى مكب التاريخ أو مزبلته كما وصف بودريار بلده (فرنسا والغرب) لسكنى مكب التاريخ أو مزبلته، وبذلك مفهوم القومية الاقتصادية ستفرز عنده الحضارة التي تستحق كمال التاريخ وأخرى عجزت عن استحقاق هذه النهاية من الكمال.

وبذلك قدمت نفسها التي حققت كمالها أنها قدمت نفسها كإله مطلق بحق يحق لها التملك من العالم وتسخير أخلاقيته وتراثه لتأكيد واحديته وقانونه الأعلى، ويطلق على الكتاب أنه عمل صحفي يتنطع إلى ادعاءات شمولية موجهة إلى الجماهير الأوسع بهدف إملاء الفراغ الإيديولوجي الناجم عن سقوط العقائد السابقة.

يجعل الكاتب بأسلوبه الصحفي أن سقوط الشيوعية ليس دليلاً فقط على صحة عدوتها المقابلة الرأسمالية، بل إنه يربط مبدأ الحرية في حد ذاتها بالخيار الرأسمالي الوحيد.

فانتقاله من تقرير واقع إلى إثبات حقيقة فكرية تنقض مضمونها في لحظة القول عنها عندما يثبت الرأسمالية الوحشية هي الحل الوحيد لتحقيق الحداثة، وذلك بتسرع صحفي بعيد عن البرهنة العلمية الهادئة.

ويعتبر الكتاب ذو أهمية استثنائية لم تخطر ببال مؤلفه لأنه يأتي مؤشراً لنوع الخطاب الإيديولوجي الذي سيدعي التعويض عن فراغ الفكر في

المرحلة المابعدية القادمة.. التي تعود بالتاريخ إلى ما ليس بتاريخ ليؤكد المؤلف حكم الإعدام على كامل النسيج الفكري الذي يحمل اسم الماركسية.

لا يتمتع المؤلف بجهاز معرفي محدد سوى العنوان الرئيس الذي تحول إلى إثارة إعلامية كبيرة لاعتماده على الثيموس الأفلاطوني، وجدل هيغل وبعض أطروحات نيتشوية مجتزأة، واعترف بالذات وغيَّب مفهوم المساواة بل أراد تحقيق مبدأ الإخضاع بالقوة للذين اكتمال التاريخ عندهم ضد الذين مازالوا في التاريخ.

وترجمة الكتاب لأنه آخر تجليات الخطاب النخبوي لبقية العالم ونحن العرب منهم بل نحن ضحية التحقيق الأولى لمصير العالم.

شبه مقدمة:

بدأ الكتاب بفكرة مقالة كان فيها (أن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلاً منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية والشكل النهائي لأي حكم إنساني) ويعتمد على هيجل في توصيفه نهاية التاريخ في الدولة الليبرالية.

ودوافع تأليفه الخوف من أنباء كارثية حول سلامة أمن السياسات الديمقراطية واكتشاف الضعف الهائل الملازم للدكتاتوريات العالمية.

كما أن منطق العلوم الفيزيائية الحديثة عينه قد يبدو أنه يفرض تطوراً عاماً باتجاه الرأسمالية (ما علاقة هذا بالرأسمالية) ويتناقض في الربط بين الفيزيائية الحديثة مع الحرية السياسية، ويعتبر أهمية رغبته في الاعتراف كمحرك للتاريخ تعيقها الدين والقومية والثقافة ومجمل العادات والتقاليد في إقامة المؤسسات الديمقراطية الناجحة أمام الاقتصاد الحر واقتصاد السوق. ويسأل (هل يوجد بشكل ملموس في العالم الراهن بدائل للديمقراطية الليبرالية قابلة للحياة) ويعترف بأن الديمقراطية الليبرالية

تستمر بالاعتراف اللامتساوي بين الناس الذين هم متساوون من الناحية المبدئية (تناقض واضح) ونيتشه يعترف بالديمقراطية الحديثة التي تجسد نوعاً من أخلاقية دنيئة، كانت الرغبة والعقل ماهرين في إيجاد وسائل جديدة من مجموعة الأهواء الحقيرة بفضل الأنانية.

القسم الأول (تشاؤمنا):

يطرح مقولة كانت بأن الحرب تخدم أهداف العناية الإلهية، يستدل بتوما الأكويني أن بإمكاننا الاستمرار بالإيمان بإله يبدي قوته على شكل عناية إلهية شديدة الحرص؟؟ (إن ما طرحه لا ينطبق على الإسلام لأن الإسلام ضد الاستبداد، والشهداء لإزالة الظلم والعدوان والاستبداد).

الحرب العالمية الأولى والثانية والمذابح في ألمانيا الهتلرية وروسيا الستالينية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني في إبادة اليهود في أوروبا والكولاك في الاتحاد السوفييتي وقصف مدينة دريسدن في ألمانيا وهيروشيما. تسمى المذابح البربرية في العصور السابقة (العلم بلا ضمير ليس سوى هدم للنفس).

ضعف الدولة القومية:

سقوط الاتحاد السوفييتي، وسقوط الديكتاتورية في إسبانيا والبرتغال واليونان، وقد أثبتت الحكومات العسكرية السلطوية أنها غير فعالة في معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في أمريكا اللاتينية وجنوب شرقي آسيا وجنوب إفريقيا.

بدأت الصحف السوفييتية تنشر مقالات نقدية للجرائم الستالينية.

الاتحاد السوفييتي يعاني من انخفاض في النمو إلى درجة الصفر.

احتقر الشعب السوفييتي من قبل قادته ومن مفكريه.

يصف الضعف في الاتحاد السوفييتي والصين. إضراب الطلاب في ساحة نيان آن مين الصين.

الثورة الليبرالية العالمية:

الإسلام له نظامه الأخلاقي الخاص وعقيدته الخاصة في العدالة السياسية والاجتماعية، هزم الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي العهد القديم للإنسانية/ تاريخ شمولي.

أرسطو في بحوثه كان يعتقد بأن ليس من نظام سياسي يستطيع إرضاء الإنسان حقاً ويعتقد مع أفلاطون (أن الديمقراطية تميل عامة على تهيئة الطريق للطغيان)، ص81.

يعتبر أن المسيحية كانت أول من أدخل مفهوم مساواة جميع الإنسان بنظر الله.

ونهاية التاريخ عند المسيحيين يحكمها يوم الدينونة الذي يفتح ملكوت السموات دوفو نتينيل (إن الإنسان لن يتراجع أبداً ولن يكون هناك نهاية لنمو وتطور الحكمة الإنسانية)، ص82.

وميكيافيلي أبو المفهوم الحديث هو الذي اقترح تحرير السياسة من الضغوطات الأخلاقية للفلسفة الكلاسيكية.

كوندورسيه في كتابه (تقدم الفكر الإنساني) كان يحوي تاريخ الإنسان في عشر مراحل ومن بينها العصر الأخير ـ على طريق الاكتمال ـ الذي يتميز بمساواة الفرص والحرية والعقلانية والديمقراطية والعلم للجميع، كما أنه يعتقد أن كمال الإنسان لا نهاية له، وكان يوحي بأن للتاريخ نقطة نهائية، وهي التي تحقق الحرية الإنسانية وهيجل يرى التقدم الناشئ لا يسير وفق تطور العقل الثابت، وإنما بحسب الأهواء العمياء التي تقود الناس إلى النزاعات

والثورة والحرب (دهاء العقل) إذن التطور يتم ضمن لعبة التناقضات وفق مسار الديالكتيك الهيجلي لتصل إلى تحقيق الحرية على سطح الأرض (وعي الحرية) ويحاول إثبات الكلام للمؤلف بليِّ العبارات بأنه أي هيجل سيصل إلى الديمقراطية الليبرالية علماً أنه كان متهماً ومغرماً بالدولة وبسلطتها وعدواً لليبرالية والديمقراطية، علماً أنه كان يضع الديالكتيك الهيغلي على تناقضات المجتمع التي تتطور إلى مجتمعات أخرى. وانهيار الامبراطورية الرومانية بالنسبة لهيغل أقامت المساواة الشاملة ولم تعترف بحقوقهم وكرامتهم الإنسانية (علماً أن هذا لم يكن معترفاً فيه في التقاليد اليهودية والمسيحية) فالأديان العالمية الكبرى لم تكن بالنسبة لهيغل صحيحة في ذاتها وهي ليست سوى إيديولوجيات منبثقة من الحاجات التاريخية الخاصة للشعوب التي تؤمن بها. والمسيحية في نظره بشكل خاص هي إيديولوجيا ولدت من العبودية، ص86.

كان بعض الفلاسفة يعتقدون (بالطبيعة الإنسانية) مجموعة من السمات ذات الطابع الدائم نسبياً كالأهواء والرغبات والقدرات والفضائل (ويستطيعون أن يتغيروا) ويريد أن يثبت أن مونتيثيل كان له فكرة نهاية التاريخ.

وهيغل حدد التاريخ كتقدم مضطرد للإنسان نحو أرفع المستويات العقلانية والحرية ويعتبرها نهاية الديالكتيك التاريخي. وماركس شاطر هيغل بالديالكتيك التاريخ في تطور المجتمع البدائي حتى وصل إلى أكثر تعقيداً. ونشاط هيغل بنهائية السيرورة التاريخية، إلا أن ماركس يرى الدولة الليبرالية فشلت في حل التناقض والصراع والطبيعي والصراع بين البرجوازية والبروليتاريا.

وأثبت أن الدولة الليبرالية لا تمثل شمولية الحرية بل انتصار الحرية لطبقة معينة وهي البرجوازية. والكسندر كوجيف كان يستفيد من طروحات

هيغل لتفسيره الخاص للحداثة وكان يعتبر هيجل على حق عندما قال بانتهاء العالم عام 1806 واستدرك بأن ما حدث من حروب وتحول روسيا إلى الشيوعية لا ينهي أهمية ما قاله هيجل.

ويعتبر تجسيد المجموعة الأوروبية في مؤسساتية ملائمة تماماً لنهاية التاريخ.

وظهرت نظريات كثيرة للتطور الاجتماعي؛ لاوغست كونت والداروينى الاجتماعي هربرت سبنسر وكان أكثر تشاؤماً (أوسو الدشبنغلر) في كتابه انحطاط الغرب وأرنولد توينبي (دراسة التاريخ).

وظهرت في أمريكا (نظرية التحديث) ويحلل: أن تقدم بريطانيا والولايات المتحدة صناعي وديمقراطي ولابد لكل الدول اتباع ما قامت به هذه الدول.

وماكس فيبر يعتمد نظرة يأس متشائمة تجاه عقلية وعلمية التقدم التاريخي للبشرية المتزايدتين وهذه النظرية وقعت ضحية تهمة التمركز الآتي مما أدى إلى تطوير علماء الاجتماع حتى يقنعوا الناس بعدم مركزية أثنية.

وكتّاب التاريخ الشمولي احتفظوا بدرجة معينة من النجاح الشعبي وهم من أمثال شبنغلر وتوينبي وصفوا انحطاط وتقهقر المؤسسات الغربية وتزايد القوى الديمقراطية في أجزاء من العالم حيث لا ينتظر ظهورها، وعدم استقرار الأشكال التسلطية للحكم والغياب الكامل للبدائل النظرية المتماسكة للديمقراطية الليبرالية أنها كلها تدفعنا إلى الاعتقاد بنجاح الديمقراطية الليبرالية.

أولية الرغبة:

التاريخ لا يمكن أن يكرر نفسه فهل العبودية يمكن أن تعود بأساليب أخرى (ما يجري في أفغانستان والعراق وفلسطين هي عبودية بشكل جديد وهيمنة القوى الكبرى، واستعمار اقتصادي بدعوى محاربة الإرهاب).

إن التحديث في اليابان وفي روسيا كان بسبب الخوف من الاستعمار الغربي أو هزيمة روسيا مع اليابان، وفي حرب القرم وانتصار نابليون في بينا الذي أدى إلى تحديث الجيش الروسي والتجنيد بالقرعة. وإلغاء القنانة وفتحت الطريق أمام الإصلاحات الليبرالية التي قام بها ستوليبين ثم بريسترويكا ميخائل غورباتشوف (التحديث الدفاعي) إن استمرار الحرب والتنافس العسكري بين الأمم يشكل لها بصورة متعارضة قوى توحيد كبرى. (فالفيزياء الحديثة تفرض ذاتها على الإنسان شاء أم أبى للحفاظ على استقلالها باستخدام القوى والتقنية الحاصلة من الفيزياء الحديثة) وحسب مقولة كانت (العدوانية بدلاً من التعاون هي التي تقود الإنسان أولاً على العيش في مجتمع يستهزئ بالقرآن قائلاً: (فعلم القرآن) كان غير قادر على إنتاج الطائرات الحربية من طراز ف 4 ودبابات شيغتن المطلوبة للدفاع عن إيران الخميني ضد طموحات جيرانها مثل العراق (لقد طورت إيران طائرات ف 6 وصار عندها طائرات ضخمة عسكرية وصاروخ بعيد المدى ودبابات ذات مواصفات عالية تحاول الوصول إلى السلاح التدميري (النووي والبيولوجي) ويؤكد على التنظيم العقلاني للعمل للتجديد التكنولوجي.

إن سبب تواجد المافيا في جنوب إيطاليا المتخلف نسبياً بدلاً من تواجدها في الشمال الصناعي. يريد أن يصل إلى التغيير الدياغوجي للمجتمع الذي تشكله الصناعة الحديثة والمؤسسات الكبرى التي تؤدي إلى انسياح الريف إلى مناطق تواجد هذه الصناعات وبالتالي تشكل تغييراً اجتماعياً.

والشركات الحديثة لا تُعنى بفرق البحث والتطوير حباً بالمعرفة المجردة وإنما لكسب المال. ويتوصل إلى أن الإنسان مجرد حيوان اقتصادي. وينهي بحثه عن أهمية الفيزياء الحديثة والمكتشفات التي تمت بناء عليها لا يمكن أن تفيد اتجاه التاريخ إلى ما قبل العملية وغير قابلة للارتداد.

ليس البرابرة على أبوابنا:

إن احتمال التدمير الكارثي لحضارتنا التقنية الحديثة وعودة هذه الحضارة إلى البربرة كان على الدوام موضوعاً للتخيلات العلمية، خاصة منذ نهاية الحرب. هل يمكن رفض التكنولوجيا والمجتمع العقلاني؟ الأصوليون الإسلاميون الحاليون والحركة الهيئية وحماة البيئة هاجمت مجمل المشروع الحديث للسيطرة على الطبيعة بواسطة العلم.

وأصولها عند جان جاك روسو الذي شكك بصلاح التقدم:

إن الناس تعساء ليس لأنهم يفشلون في إشباع مجموعة معينة من الرغبات بل بسبب الهوة التي تتعمق وتتجدد باستمرار بين الرغبات الجديدة واتباعها (الصناعة الاستهلاكية الإلكترونية الحديثة) هي المثل لهذه التعاسة. والسعيد عند روسو هو من يستطيع التخلص من روتين التقنية الحديثة، ومن دورة الرغبات التي يولدها إلى ما لا نهاية. وهل يمكن الاعتماد على روسو في أطروحاته للعودة إلى الطبيعة. ويطرح سيناريو إقامة الحرب النووية والصراع والإبادة والتغير الكلي للأرض وهل يمكن إيقاف التطور العلمي للباقين الذين لم يشتركوا بهذه الحروب التدميرية.

ويقف دون جواب ويكمن الجواب في الدين الذي يأمر بالعدل والحق وعدم القتل وإبرام معاهدات، يكمن بالإسلام الذي يحقق المعاهدات بين الدول.

التراكم بلا حدود:

التكنولوجيا والتنظيم العقلاني للعمل يشكلان الشرطين المسبقين لأي تصنيع يولد بدوره ظواهر اجتماعية مثل التمدين والبيروقراطية وقطع الروابط بين العائلات الكبيرة أو الروابط العشائرية والوصول إلى مستوى مرتفع من

الإعداد والتعليم، ولم نبرهن أن العلم يقود إلى الرأسمالية أو الديمقراطية الليبرالية، والمثال روسيا في فترة ستالين حيث أكد إسحق دويتشر في الخمسينات أن الاقتصادية المخططة والمركزية كانت أكثر فعالية من العمل الفوضوي لاقتصاديات السوق.

وإن الصناعات المؤممة كانت أكثر قدرة على تحديث مصانعها وتجهيزاتها من صناعات القطاع الخاص. الرأسمالية تعاني دائماً من فقدان الثقة من اليمين الديني التقليدي بأخلاقيتها وكذلك الاشتراكيين والماركسيين، علماً أن الرأسمالية هي أكثر فعالية من الأنظمة الاقتصادية ذات التخطيط المركزي (الواقع في الاتحاد السوفييتي وكثير من الدول).

لم تستطع الماركسية الممارسة الاقتصادية العالمية في الجودة لعدم وجود الخبراء والمبادرات الفردية والتشجيع (مخترع الطائرات الشهير تويوليف أرسله ستالين إلى معسكرات العمل حيث رسم هذا المهندس أفضل نماذج للطائرات في الصين، أرسله مع المهندسين والعلماء إلى الأعمال الزراعية وغيرها من المهمات المرهقة جداً، والمواقع التي تحتاج إلى كفاءات تقنية كانت تعطى للشيوعيين المضمونين سياسياً، إلا أن دنغ كسياوينغ أعاد اعتبار العلماء ثم صارت هي الطليعة الليبرالية البرجوازية وعملت دوراً كبيراً في عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين.

انتصار الفيديو:

توقع لينين بعكس ستالين أو ماركس أن التناقض النهائي الذي قد يقضي على الرأسمالية لم يكن الصراع الطبقي داخل العالم المتطور، بل بين الشمال المتطور والبروليتاريا العالمية للبلدان المتخلفة.

وراوول بريبيش (اعتبر أن بقاء المناطق في حالة دائمة من النمو التابع وهكذا فغنى قوة الشمال ترتبط مباشرة بفقر الجنوب).

الشركات متعددة الجنسية تجبر بلدان العالم الثالث على نحو غير متوازن لتبقى مستهلكة لمنتجات الشمال. نظرية التبعية كانت إرادياً ضد الليبرالية.

نجحت دول جنوب شرق آسيا لإدخال الشركات المتعددة الجنسية والعمال ذوي الأجور الرخيصة، وأحد الموظفين في سنغافورة أظهر مساوئ (الهيبيين، والشباب ذوي الشعر الطويل وانتقادات الشركات متعددة الجنسية).

وعزا بعض الاقتصاديين أن التخطيط في السياسة الصناعية وليست الرأسمالية هي أساس نجاحها في (آسيا) ولكن المحللين الاقتصاديين لا يقبلون الأسلوب التسلطي للتخطيط الآسيوي مع ما يرافقه من قمع منتظم للمطالب العمالية والاجتماعية. وفي أمريكا اللاتينية بقيت الدولة بأسلوب المركنتيلية (دولة مديونة هاجسها القانون تلزيم احتكاري ومراكز متميزة تتعلق بنخبة صغيرة تتبع الدولة والدولة ذاتها تابعة لها) تدعو إلى ثورة وتفجير حرب عصابات في سبيل التوصل إلى السوق الحرة والانتقال مباشرة إلى الثورة الثانية الرأسمالية وتحاشي الثورة الاشتراكية السابقة وخاصة في دول أمريكا الجنوبية (إن نشر ثقافة الاستهلاك المعتمدة على المبادئ الاقتصادية الليبرالية قوة جذب هذا العالم إلى ثقافة الاستهلاك تملكها آلة الفيديو وبها يتحقق العصر النهائي للاقتصاد الليبرالي الديمقراطي).

في بلاد التربية:

مارتن ليبسيت قال: (إن هناك درجة عالية جداً من الترابط التجريبي بين الديمقراطية الثابتة من جهة ومستوى التطور الاقتصادي لبلد معين من

جهة أخرى، وكذلك مع مؤشرات أخرى تتعلق بالنمو الاقتصادي مثل التمدين والتربية).

هناك علاقة بين الديمقراطية والتطور الاقتصادي والتصنيع يقويها.

ويجد أن هناك علاقة بين الديمقراطية والنمو الاقتصادي يرفع مستوى الثقافي والدخل القومي.

وهذا ما جرى بعد وفاة فرانكو عام 1974.

والطبقات الوسطى القوية تولد من تعميم التعليم، والنخبة العلمية والتقنية المطلوبة لإدارة الاقتصاديات الصناعية الحديثة تتطلب درجة عالية من التحرر السياسي.

ويجيب على سؤال هام بأن النمو الاقتصادي لا يوصل حتماً إلى الديمقراطية السياسية جواب السؤال الأول.

حيث قال كانت: هل من الممكن كتابة تاريخ شامل من وجهة نظر كوسموبولتين (عالمياً) يعتبر الهلوكست هو الحدث الأكبر للحداثة والفاشية حالة مرضية.

والتاريخ الشامل لا يمكن كتابته لأنه لا يستطيع تعليل (عقلياً) كل الأحداث التي مرت، والحداثة فتحت أبواباً للشذوذ الأخلاقي وجعلتنا نشكك في مفهوم التقدم الأخلاقي.

لا ديمقراطية بدون ديمقراطيين:

الديمقراطية لا يجري اختيارها أبداً لأسباب اقتصادية لأن خيار الازدهار قد وجد فعلاً بدون الحرية فمثلاً دنغ كسياوينغ قدم إلى بلاده التحرر والتحديث الاقتصادي تحت الوصاية المستمرة للحزب الشيوعي الدكتاتوري، لأن هناك كثيرين قد خاطروا بأنفسهم وأملاكهم للنضال من أجل الحقوق

الديمقراطية. إذن لا ديمقراطية بدون ديمقراطيين فالمحرك للتاريخ الإنساني عند هيجل ليست الفيزياء الحديثة. ويعتبر المحرك هو من أجل الاعتراف.

يتوصل المؤلف إلى سؤال؛ هل يوجد في نظامنا الاجتماعي الديمقراطي تناقضات يمكن أن تقودنا للاعتقاد أن العملية التاريخية سوف تستمر بما يكفي لأن يحدث في نهاية المطاف انهيار المجتمعات الديمقراطية الليبرالية بمجملها (عجز الميزانيات، التضخم، الجرائم والمخدرات) ويعتبرها ليست تناقضات لأن النظام يمكنه حلها؟ (أقول إن انهيار كبرى الشركات في النظام الرأسمالي، وانتقال المصانع الكبرى بغية إيجاد أجور ضعيفة، والتهرب من الضرائب سيؤدي إلى تناقضات اجتماعية مع العمال المطرودين من معاملهم بأعداد هائلة، وزيادة البطالة، وتدني الأجور كلها تناقضات في الرأسمالية وزيادة هروب الشركات المتعددة الجنسية إلى الهند وجنوب شرقي آسيا والفيلبين وأندونيسيا وماليزيا سيؤدي إلى تراجع كبير في النمو الاقتصادي للدول الرأسمالية).

يقول كوجيف: (العالم الديمقراطي الليبرالي متحرر من التناقضات).

الصراع من أجل الاعتراف:

في البدء كان صراع حتى الموت من أجل التمييز وحده.

قال هيجل وكوجيف كل الصراعات كانت للوصول والرغبة بالاعتراف بالذات، لوك الفيلسوف والمصدر الأساسي لليبرالية مع هوبس.

ولكن لوك مع برجوازية لا أخلاقية تنشغل بالرفاهية المادية الذاتية ولا يهتم بالصالح العام ولا يعنى بالمجموعة الإنسانية التي تحيط به.

بينما هيغل يرتكز على ليبرالية ترتكز على الجزء اللاأناني من الشخصية الإنسانية للمحافظة على المشروع السياسي الحديث.

ولكن هيمنة الاقتصاد أنستنا فكرة (الصراع من أجل الاعتراف) فالإنسان عند روسو ولوك وهوبس هو إنسان الطبيعة ويشترك مع الحيوان بالحاجات كالغذاء والمأوى.

فالإنسان عند هيغل يحتاج مع كل هذه إلى رغبة باعتراف الناس الآخرين به (وعي الذات) ووعي هويته الإنسانية المتميزة.

الحرية عند الأنكلوساكسوني تفهم على العموم بأنها غياب الإكراه وحسب توماس هوبس (تعني الحرية غياب المعارضة ـ وأعني بالمعارضة العوائق الخارجية أمام العمل ـ الإنسان عند هوبس آلة بالغة التعقيد وهو مجموعة من سلسلة الأهواء الرئيسة: الفرح، الألم، الخوف، الأمل، الاحتقار، والطموح).

الإنسان عند هيغل غير محدد من قبل الطبيعة بشكل جذري (له معنى ميتافيزيقي) والكرامة هي إحدى خصائصه.

إن المعارك الدامية بين الناس الأوائل عند هيغل ليست إلا نقطة انطلاق للديالكتيك الهيغلي، وتاريخ الصراع لتحقيق الاحترام والكرامة وتبادل المساواة.. وتختلف بين هيكل وهوبس ولوك. الديمقراطية الليبرالية المعاصرة.

الإنسان الأول:

الديمقراطية الليبرالية المعاصرة الأميركية تعود إلى كتابات جيفرسون وماديسون وهاملتون وغيرهم من الأدباء المؤسسين الذين سبقوا توماس هوبس وجون لوك، وهيغل يختلف عن التقليد الليبرالي الأنكلوساكسوني تجاه رغبة الاعتراف وتجاه الثيموس بشكل أعم. لوك يؤكد على حق الثورة ضد الطغيان وهوبس يؤكد نظريته عن السيادة الملكية المطلقة.

هوبس وهيغل يتفقان على أن كبرياء الإنسان أو رغبته أن يُعترف به تمر منه إلى المخاطرة بحياته في معرض من أجل الاعتبار والخوف من الآخر يجعله يقبل عبودية الدولة، عند هوبس هي عقد اجتماعي فالمصدر الوحيد لشرعية الدولة هو قدرتها على حماية هذه الحقوق التي يملكها الأفراد ككائنات إنسانية.

هوبس (أعطى الله السلطة الكبرى للأفياثان فقد سماه ملك الكبرياء ويؤمن بالملكية المطلقة (حق الملوك الإلهي للحكم).

بينما جون لوك يحول نظرية السيادة الملكية بحسب هوبس كاتجاه السيادة البرلمانية أو التشريعية التي ترتكز على سلطة الأكثرية للحفاظ على غريزة البقاء لأن حق الحياة هو الحق الأساسي.

هيغل يختلف عن هوبس ولوك لأنه يسعى للاحتفاظ ببعد أخلاقي للحياة الإنسانية (محرك الديالكتي للتاريخ، عند هيغل الحصول على الاعتراف بذاته).

عطلة في بلغاريا:

الثيموس (حماس الشعور) والاعتراف بالرغبة وهو غير مادي (رغبة الاعتراف بالذات).

فكلاف هافيل أول رئيس للجمهورية التشيكوسلوفاكية له مقال: (سلطة العاجزين) (قصة التاجر الذي كتب أمام متجره (يا عمال العالم أجمع اتحدوا) يعالج فكرة الخوف عند التاجر للحماية من السلطة القمعية الشيوعية، والإغراء عند بريجينيف بالسفر إلى بلغاريا كهدية للعمال المجدين كلها فيها الثيموس (الرغبة).

الوحش ذو الوجنتين الحمراوين:

أبراهام لنكولن (إلا أن أحكام الله لعادلة ومحقة).

لوك (ليس لأي إنسان أن يكون حكماً عادلاً تجاه ذات نفسه).

الصراع في الدول الشيوعية مع المتظاهرين وقوة الثيموس الجماعي أزاح كل السلطات الشيوعية في روسيا وبلغاريا والعديد من الدول الشرقية، وثورة طلاب الصين كلها هي بدايات التضحية للوصول إلى الديمقراطية..

عظمة الثيموس وانحطاطه:

الفلاسفة يعتبرون الثيموس هو أصل الشر الرئيس على أرض الإنسان.

(إن الإنسان لا يكافح من أجل السعادة وحده، الإنكليزي يفعل ذلك) نيتشه/ غروب الآلهة: إن الفلاسفة دفعهم الطغيان إلى الاعتقاد أن الثيموس هو أصل الشر الرئيس على أرض الإنسان ولكن وجود بعدٍ أخلاقي في الشخصية الإنسانية من شأنه أن يقدر باستمرار الذات والآخرين، إن بعض الناس يسعى لأن يُعترف به كمتفوق على الآخرين (أو جنون العظمة) ميكافيلي يحاول بناء نظام سياسي حرٍ انطلاقاً من شرور الناس (الميغالوثيميا) (هذه الشرور يمكن أن توضع في خدمة غايات مرضية إذا جرى تنظيمها بشكل ملائم عن طريق مؤسسات مناسبة، رغبة المجد بدفع الناس الطموحين إلى الطغيان والبقية إلى العبودية (الميغالوثيميا) هي جنون العظمة.

هوبس ولوك مؤسسا الليبرالية الحديثة حاولا اقتلاع الثيموس من الحياة السياسية واستبداله بخليط من الرغبة والعقل (الكبرياء المهووس والعنيد عند الأمراء والتعصب الديني عند رجال الدين الملتزمين هي أسباب للحرب).

الأرستقراطي كان يسرق من المحاربين الآخرين ويختلس من الفلاحين كل الفوائض.

إن عملية التحديث هي انتصار المتدرج للجزء الراغب والنفس تحت قيادة العقل.

مبادئ لوك انتصار الجزء الراغب في النفس، لاكتساب الملكية.. إعاقة الطموح أدت بالسياسة الأميركية أن تبعد وجود أمثال يوليوس قيصر أو نابليون، بل جعلت جيمي كارتر ورونالد ريغان كخادم للشعب لا سيده.

ولذلك نيتشه يريد مجتمعاً (أناس بلا شجاعة) وإن الليبرالية الحديثة حاولت إقصاء أية ميغالوثيميا (جنون العظمة) من حياتنا السياسية.

السيد والعبد:

قال ألكسندر كوجيف (إن العبودية العاملة هي على العكس مصدر لكل تقدم بشري اجتماعي وتاريخي، فإن التاريخ هو تاريخ العبد العامل).

الصراع بين السيد والعبد شكل تناقضاً في المجتمعات القائمة على العبودية، هيغل في ظواهرية الروح تدعوه للوصول إلى الحرية والمساواة هي المسيحية (الدين المطلق) لأن الدين أقام مبدأ المساواة الشاملة بين جميع البشر في نظر الله.

المسيحية تجعل تحقق الحرية الإنسانية ليس على الأرض هنا وإنما فقط في ملكوت السماء ويعتبر هيغل أن الإنسان خلق الله ويعتبر المسيحية شكلاً من الاستلاب أي شكلاً جديداً من العبودية (هيغل يقول: إن اكتمال العملية السياسية يتطلب فقط علمنة المسيحية (عن طريق تحقيق المعرفة المطلقة والوعي الذاتي من قبل العبد).

الجولة الشمولية والمنسجمة:

هيغل (إن وجود الدولة هو إحياء الله للعالم) فلسفة الحق.

فالدولة الديمقراطية الليبرالية الحديثة التي أبصرت النور إثر الثورة الفرنسية كانت تحقيقاً للمثل الأعلى المسيحي حول الحرية والمساواة الإنسانيتين دون إبطاء.

المجتمع الليبرالي في إعلان الاستقلال عقداً اجتماعياً بين أفراد يملكون بعض الحقوق الطبيعية وأهمها حق الحياة أما بالنسبة لهيغل فالمجتمع الليبرالي اتفاق متساوٍ ومتبادل بين مواطنين من أجل الاعتراف ببعضهم.

يهاجم الدولة القومية لأنها ستشكل حرباً جديدة وإعادة دولة مستعبدة ودولة سيدة حاكمة إثر الحروب.. (يعتبرها دولة لا عقلانية).

أما الدولة الليبرالية فهي دولة عقلانية (شاملة منسجمة وتعترف بجميع الناس بشكل شامل، كما يمكن أن نأخذ بالاعتبار الدرجة المرتفعة للترابط بين التصنيع المتقدم والديمقراطية الليبرالية.

اعتبر ألكسندر كوجيف في تفسيره لهيغل أن الدولة الشمولية والمنسجمة قد تكون الدولة الأخيرة في التاريخ الإنساني، أما لوك ولاماراك فلم يحسبا حساباً إلا للرغبة والفعل بينما هيغل وكوجيف أظهرا أهمية الميتافيزيقيا والنفسانية للاعتراف ويعترف كوجيف أننا أصبحنا اليوم في نهاية التاريخ لأن الديمقراطية الليبرالية نجحت في إحداث تآلف بين أخلاقية السيد وأخلاقية العبد..

سقوط رودس (أبرد كل الأشباح الباردة):

سوف لا يبقى في نهاية التاريخ أي منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية.. ولكنه اليوم غدا العالم الإسلامي، ثمة على ما يبدو بروز اتفاق عام يقبل بشرعية ادعاءات الديمقراطية الليبرالية في أن تكون شكل الحكم الأكثر عقلانية، التسامح هو الصفة الأساسية للديمقراطية الليبرالية.

النمط الأول: لا تعارض بين الديمقراطية والقومية..

العائق أمام الديمقراطي عائق ثقافي يتعلق بالدين، البروتستانتية فصلت الدين عن السياسة، البوذية والهندوسية والكنفوشوسية مذاهب متسامحة نسبياً.

اليهودية والأرثوذكسية والإسلام الأصولي هما دينان كليانيان (توتكيثاري) الإسلام مثل المسيحية يقر مبدأ المساواة الكلية بين كل البشر.

إن القومية والدين يعودان إلى رغبة الاعتراف.

تركيا الوحيدة وضعت موروثها الديني جانباً لصالح مجتمع علماني رسمي.

إن شعباً معيناً لا يمكنه أن يصبح ديمقراطياً لأسباب ثقافية عميقة تصبح بحد ذاتها عائقاً لا يستهان به أمام الدقرطة.

أصول العمل الثيموسية:

كان هيغل (يعتقد أن العمل هو الماهية، ماهية الإنسان الحقيقية، هناك ارتباط قوي ومتبادل بين التصنيع المتطور والديمقراطية، والثقافة تؤثر في السلوك الاقتصادي (أخلاقية العمل) ولا يوجد خاصية قومية، والنجاحات الاقتصادية ترتبط فقط بظروف المحيط، نجاح ألمانيا بالاقتصاد الكبير يكمن في المجال الثقافي.

رغبة النفع المادي تدفعه للمزيد من المتعة بالعمل (الرغبة والعقل).

الثيموس (الرغبة في الاعتراف بالذات) سبب كبير في المتعة في العمل، يعملون لإرضاء ثيموسهم، فيبر يقر أن هناك علاقة بين الدين والسلوك الاقتصادي وبانخفاض الإجرام واستعمال المخدرات. العمل في اليابان يعود إلى المصادر الدينية، القومية البوذية تدعو للاقتصاد مع موقف زهدي تجاه الاستهلاك.

الهندوسية لا تتأسس على المساواة بين كل البشر وتقدس الفقر والجمود الاجتماعي للطبقة الدنيا (غاندي) (إن الفقر الهندي يجرد الإنسان من إنسانيته أكثر من أية آلة تقديس تعتبر عائقاً اقتصادياً كبيراً).

إن التوظيف مدى الحياة يؤدي إلى ضعف المردودية الاقتصادية الغربية واليابانية، الدينية والقومية لا تزال تؤثر على السلوك الاقتصادي.

امبراطورية الحقد، امبراطوريات الاحترام:

المتغيرات التسلطية يمكن أن تحكم في المستقبل.

النهضة الحالية للأصولية الإسلامية ينظر إليها كرد فعل على الفشل الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية.

تركيا في عهد أتاتورك عملت لبناء مجتمع علماني مؤسس على القومية.

وكذلك مصر عبد الناصر وحزب البعث السوري والعراقي واللبناني.

وهزيمة العرب أمام إسرائيل 67 وبقاء العالم العربي مستعمراً في الحرب العالمية الثانية. والأصولية الإسلامية تمتلك أكثر من وجه شبه سطحي مع الفاشية الأوروبية. السود في الولايات المتحدة يشكلون مشكلة متعلقة بالقيم ونجاح آسيا ليس باستيراد الثقافة الغربية للتقنية بل بأخلاقية العمل، القومية الديمقراطية اليابانية تأخذ شكلاً تسلطياً بحسب المواصفات الأمريكية والغربية، اليابان محكوم في الواقع من قبل سلطة خبيرة لحزب وحيد.

سنغافورة أرقى من الديمقراطية الليبرالية نجحت مع تقييد لبعض الأصول. الحضارة الأوروبية والأميركية فاقدة للروح الجماعية.

لا واقعية (الواقعية):

النظرة التشاؤمية للعلاقات الدولية على صياغة نظامية تحت العنوان المتغير للواقعية (أو سياسة القوى).

إن المؤسس الحقيقي للواقعية هو ماكيافيللي (استلهام طريق عيشهم الطريقة التي يحبونها) وكسينجر هو المدافع الأساسي عن الواقعية في الجيل الأخير.

كل نظريات الواقعية تنطلق من فرضية غياب الأمن (الطابع الفوضوي).

الشعور الوهمي بالخطر يؤدي إلى إجراءات دفاعية.. (زيادة حجم قوتها).

أمريكا وروسيا تريدان تصميم تصورهما حول العدالة.

إن الواقعية هي نظرة متطابقة مع السياسة الدولية في قرن يسوده التشاؤم.

كيسنجر يعتبر التاريخ مجرد تتابع فوضوي ويجب أن نفهم أسباب الحرب بين الأمم.

كيسنجر اقتراح زيادة الصواريخ النووية في ألمانيا لحماية الغرب.

سلطة العاجزين:

دوام الحرب عبر التاريخ البشري / هوبس: الإنسان في حالة دائمة من حرب الكل ضد الكل وخاصة المشبعين بالفكر الديني المتعصب.

إن السبب الأساسي لنشوب الحرب بين الدول هو الثيموس وليس غريزة البقاء وهو المصدر الأصلي للإمبريالية، فالإمبريالية والحرب كانتا نتيجتين تاريخيتين للمجتمعات الأرستقراطية. الليبرالية في بريطانيا أجبرت الدين على التسامح (بين الكاثوليك والبروتستانت) (مازالت الحرب قائمة بين إيرلندا وإنكلترا أي بين الكاثوليك والبروتستانت).

إن الحرب قصدت معناها الاقتصادي ـ أمريكا والعراق، وأفغانستان..

الديمقراطية الليبرالية كبلت غرائز الإنسان الطبيعية العدوانية والعنيفة وأزالت أسباب الإمبريالية (كذب وهراء ما يحدث في العراق وأفغانستان).

المصالح القومية:

نمو الدول القومية الحديثة: عدة نتائج هامة أثرت على طبيعة السياسة الدولية القومية؛ يعتبرها ظاهرة لا عقلانية بشكل تام. تحت ضغط التوجه القومي سقطت امبراطوريات متعددة الجنسيات واعتبر الصحافيون والجامعيون القومية وكأنها تعكس مطلباً سياسياً وعميقاً للطبيعة البشرية.

الصراع القومي في البلقان/ القوى الاقتصادية تريد كسر الحدود القومية بواسطة بعث سوق عالمي موحد.

نحو وحدة سلمية:

الدول ما بعد التاريخي والتي تعمل لمحور اقتصادي متعدد الأقطاب بتوحيد الأسواق والإنتاج، ستواصل العراق وليبيا غزوهما لجيرانها.. (انتهت العراق وتوقفت ليبيا عن أي تحرك عسكري) كانت يدعو إلى رابطة عالمية للدولة الديمقراطية بواسطة نظام دستوري بكتابه (السلام الدائم) (فكرة تاريخ كلي).

الأمم المتحدة، ومجلس الأمن لم يستطيعا أن يحلا مشكلة الأمن الدولية،وهما يدعوان إلى وحدة بين الدول الديمقراطية الليبرالية لإحلال السلام العالمي بالقوة.

الإنسان الأخير (في مملكة الحرية):

تقدمت الديمقراطية الليبرالية في القرن العشرين على خصمها الفاشية والشيوعية وتتحقق في الديمقراطية مبادئ المساواة والحرية (وهذا

كـذب وافـتراء) رغـم وجـود الـنظم الـسلطوية والثيوقراطيـة والقوموية المتعصبة.

وهل ستنهار ذات يوم تحت تأثير فساد داخلي كما حصل للشيوعية؟.

لأنها تنوء بمشكلات كالبطالة والتلوث والمخدرات والجريمـة (وعـدم تكافؤ الفرص) فلـو أنهـا لا تملـك هـذه الإشـكالات لقلنـا حـسب هيجـل، وكوجيف أدركنا نهاية التاريخ ولذلك نتيجة نمو الإنـسان الأول مـا يـصوره هوبس ولوك وروسو وهيغـل لقـد حـاول المـشروع الماركـسي تطـوير شـكل متطرف من المساواة الاجتماعية على حساب الحرية وفـشل المـشروع الماركـسي لأنه جرد الناس من كل حقوقهم.

إن إفراطات الحرية (المثليي الجنسية) جرائم.

الكرامة لأنه قادر على الاختيار الأخلاقي.

إن بقاء الغير يستمر نجاحه (لا كرامة له) يدعو المـستقبل لإيجـاد بـدائل من قبل اليساريين للديمقراطية الليبرالية والرأسمالية.

أناس بدون جرأة:

الإنسان الأخير عند نيتشه هو العبد المنتصر. المسيحية كانت أيديولوجية العبد. كان نيتشه مناصراً جذرياً لفكرة عدم التـساوي بـين البـشر مـع توجـه سياسي مناوئ بشدة للديمقراطية.

كان خوف نيتشه الأعظم أن تنتصر الطريقة الأميريكية للحياة.

نهاية التاريخ تعني نهاية الحروب والثورات الدموية والتوصل إلى مجتمع ينجح فيه بإلغاء الظلم، إن حياة الأخير هي حيـاة الأمـان الشخـصي والـوفرة المادية.

أحرار وغير متساوين:

كان نيتشه يعارض بطريقة مكشوفة الديمقراطية والعقلانية التي تقوم عليها. كان يدعو لولادة أخلاقية جديدة من شأنها أن تعزز القوي على حساب الضعيف، يرفض تدفئة يديه بالشتاء وأصيب بالجنون آخر حياته.

ومركز اهتمامه كان رغبة الاعتراف وهذه الرغبة كانت مهددة بانتشار الديمقراطية والمخرج الأول والأهم في مجتمع ديمقراطي ليبرالي هو روحية المبادرة والعمل. الدينمقراطية تجذب أصحاب الطموح ليعترف بهم أنهم الأعظم كجورج بوش الأب.

أورد فينغات: كان مهمشاً في إنكلترا ولكنه أسدى العون ليهود فلسطين في سبيل تشكيل جيش.

كوجيف قال: بدلاً من أن نرى اليابان يتغربن (يصبح غربياً) به فسوف نرى الغرب بما فيه روسيا يتيبنن (يصبح يابانياً).

حقوق كاملة وواجبات ناقصة:

الحياة التعاونية للمدنية في الدولة الحديثة.. حقوق تامة وليس لهم واجبات تامة، النسبة العالية جداً من حالات الطلاق، غياب السلطة الأبوية، عتاهة الأطفال. وكان أبراهام لينكولن لا يتردد في التأكيد أن الحرية تفترض وتتطلب الاعتراف بالله، التخلي عن كل الأخلاقيات والأصوليات والتعصبات الدينية واستبدالها بالتسامح والانفتاح في مناخ ثقافي.

حروب الروح الكبرى:

مدعوون لحرب مدمرة جديدة؛ تصور هيغل السلام والازدهار المحققين في نهاية التاريخ تبقى رغبة الافتخار بإنسانيته وسينحطون من حالة

الإنسان المواطن إلى البرجوازي وسيتولد روح الضجر التي تؤدي إلى الحروب.

إن الفكر الحديث لا يضع أية عقبة أمام حرب عدمية مستقبلية ضد الديمقراطية الليبرالية. اعتبر نيتشه المؤمن بمذهب القوة والسيطرة وأنها ستؤدي إلى حروب واسعة للروح ولكن المؤلف يؤكد على كون الديمقراطية الليبرالية هي الحل الممكن الأفضل للمسألة الإنسانية.

الكتاب دفاع عن الديمقراطية الليبرالية وأنها نهاية تاريخ الفكر البشري ونهاية فلسفة الصراع الفكري والفلاسفة الديالكتيك، والليبرالي هو تنظير سياسي للخارجية الأمريكية بأنها هي مصدر الفكر الواقعي الذي يجب أن تصدره إلى العالم كدولة مركزية وإمبراطورية شاملة وقوية في اقتصادها وفي عتادها العسكري وإمكانية الهيمنة على كل العام. ويحاول الرد على كل المقولات الفلسفية والتاريخية، وبإمكان صعود حالة أخرى أو إمكانية تحطيم ما توصلت إليه الأفكار الأمريكية ويستشهد بفلاسفة كثيرين أمثال هيجل وكانت وكوجيف وغيرهم، ويدافع عن النظرة البراغماتية النفعية الذرائعية وأنها نقلة نوعية من الفلسفة النظرية إلى الفلسفة العلمية.

وينتقد كل الذين يظهرون مساوئ الليبرالية الأمريكية ويطلب من كل المنظرين إظهار البدائل ويتهكم على كل من يظن أن بإمكان البشرية إظهار بديل ممكن لنهاية تاريخ الفكر الإنساني، ولا يتكلم عن أخطاء الديمقراطية التي لها عيوب كثيرة ودحضها مفكرون كثيرون في كتب وبيانات، وخير ما يقال عن الكتاب ما قاله مطاع صفدي أنه أفكار صحفية بدأت مقالة وانتهت كتاباً. ولكن الكتاب يتناسى وجود عالم عربي وإسلامي وإفريقي وأسترالي فلا

يعتبرهم موجودين على الساحة الدولية، إلا بعض كلمات تحدث بها عن العرب والمسلمين بشكل مقتضب. وأعتقد أنه عن قصد أهمل دور العرب والمسلمين واعتبرهم على هامش التاريخ المعاصر، وليس لهم أي دور فاعل في الأحداث الدولية ولم يتكلم عن حق الشعب الفلسطيني وإمكانية الحرب بين العرب والكيان الصهيوني المغتصب لأرض شعب كامل مشرد، ولا يتكلم عن الظلم الذي يعانيه الفلسطينيون في الأرض المحتلة.

كما أنه لم يتكلم عن الحلول للمشاكل التي تعاني منها الرأسمالية الليبرالية الغربية من الأخطاء الجسيمة التي ذكر بعضها ومر عليها مروراً غير مبالٍ في أهمية هذه الأخطاء والحلول لها مركزاً على فكرة نهاية التاريخ بصمود الدولة الديمقراطية الليبرالية الأمريكية والغربية بشكل عام..